

ماكارونيسيا:

الجزر المباركة

< ماكارونيسيا - دومينيك ميرل

لا يحدث كثيرا أن تذهب إلى مكان ما، ولا تعرف عنه شيئا حتى تعود إلى وطنك. هذا هو حال زيارتي لجزيرتين قبالة ساحل شمال أفريقيا، وهما ماديرا، وهي جزء من البرتغال، وجزر الكناري، التي هي جزء من أسبانيا، وهما في مركز مجموعة مكونة من أربع سلاسل من الجزر في المحيط الأطلسي التي تشكل أرض ماكارونيسيا شبه الأسطورية، كما علمت أثناء قيامي بشيء من البحث عند كتابة هذه المقالة، وسوف تجد ذكرها قبل كلمة "معكرونة" في موقع "ويكيبيديا" التي هي أكبر موسوعة على الانترنت في العالم.



View of castle on a hill in Madeira

منظر لقلعة على تل في ماديرا



Colorful market scene in Madeira

سوق جميل في ماديرا

ي جب عدم الخلط بين ماكارونيسيا وميكرونيسيا، وهي مجموعة أخرى من الجزر في المحيط الهادئ؛ وتتألف ماكارونيسيا من جزر الآسور التابعة للبرتغال، وماديرا (البرتغال)، وجزر الكناري (أسبانيا) وجزر الرأس الأخضر التي هي جمهورية مستقلة، وجزر الآسور في وسط المحيط الأطلسي بين أمريكا الشمالية وأوروبا، وماديرا وجزر الكناري هما قبالة السواحل المغربية، والرأس الأخضر هي أبعد كثيرا إلى الجنوب، وتقع غرب السنغال. وكلها جزر بركانية في أصلها، وعلى الرغم من أنها لا علاقة لها بعضها البعض الآخر على مدى التاريخ، فهي تعرف الآن مجتمعة بـ"ماكارونيسيا" التي تأتي من الكلمة اليونانية التي تترجم على نحو تقريبي بـ"الجزر المباركة".

ربما لا يعرف كثير من مواطني سلاسل الجزر الأربع أنهم يعيشون في ماكارونيسيا. في الواقع، إن الرأس الأخضر والآسور متباعدة جدا لدرجة أنهم قد لم يتح لهم بأن يسمعو بعضهم البعض الآخر. لكن الرحلة بين ماديرا وجزر الكناري هي مجرد 50 دقيقة بالطائرة الخفيفة، ما يسهل كثيرا الجمع بينهما في رحله مصغرة إلى ماكارونيسيا. لكنك ستجد بلدين لهما ثقافتان ومنظران مختلفان.

بدأت في ماديرا من العاصمة فونشال المحصورة بين الجبل والبحر، وفونشال موطن لنصف سكان ماديرا تقريبا البالغ عددهم



Young girls framed by orchids in Madeira festival

فتيات مكلمات بالأوركيد في مهرجان ماديرا

أخذنا رحلة قصيرة بالطائرة المروحية من فونشال إلى تاناريف، أكبر جزر الكناري الست، وأقمنا في فندق بوتانيكو، وجزر الكناري تبلغ حوالي ضعف مساحة ماديرا وتجذب ضعفين أو ثلاثة أضعاف من عدد سياحها الدوليين، حيث يبلغ عددهم المتصاعد إلى نحو 10 مليون في السنة، وهي أقرب بكثير إلى القارة الأفريقية، المسافة من تاناريف إلى الصحراء هي أقل من 30 ميلاً!

وفي حين أن الغالبية العظمى من السياح يتزاحمون على جزر الكناري بسبب شواطئها، فإن هناك مناطق جبلية وعرة التضاريس بما في ذلك جبل تييدي، أعلى قمة في أسبانيا، على ارتفاع 12.000 قدم، وأكبر بركان، هناك تنوع مدهش من نباتات وحيوانات يختص بها هذا الجزء من العالم، جنباً إلى جنب مع أكثر من 700 نوع من الحشرات، تاناريف لها شكل البطية، ويهيمن عليها سلسلتان جبليتان كبيرتان، هما أناغا وتينو، الشمال أخضر، وملعب الشواطئ معظمها في الجنوب، هناك فيلات منعزلة على جانب البحر تحيط بها مزارع الموز التي هي بمثابة منتجع للشخصيات العالمية التي تحاول تجنب المصورين الصحفيين، ومنهم ميك جاغار، بيل كلينتون، ومايكل جاكسون.

وكما هو الحال في ماديرا، هناك قرى فائتة في أسفل الجبال أو على منحدراتها، مثل قرية إيكود الجذابة التي تشترك بعض الشيء مع مونتي في ماديرا والمزقات السياحية، إلا أن المخاطر في إيكود أكبر قليلاً.

أن الغالبية العظمى من السياح يتزاحمون على جزر الكناري بسبب شواطئها، فإن هناك مناطق جبلية وعرة التضاريس بما في ذلك جبل تييدي،

من أبرز معالم الجذب السياحي في ماديرا، وهي المزلقة المجرورة، وقد كانت هذه العربات من وسائل النقل المعتادة في التضاريس الجبلية، وهي تستخدم الآن فقط من قبل السياح، وهي مصنوعة من أغصان الأشجار ويتسع كل منها لشخصين، ويقودها في انزلاقها إلى الأسفل رجال يرتدون قبعات وهم يسيطرون على توجيهها، وركوب حوالي 20 دقيقة يكلف نحو 15 دولاراً للفرد.

وأرخبيل ماديرا الذي أخذ اسمه من أكبر جزيرة في المجموعة، والتي تقع فيها فونشال، يضم أيضاً جزيرة بورتو سانتو التي تستقبل الشمس وأمواج البحر، واثنين آخرين من الجزر المأهولة فقط بأسود البحر، والطيور البحرية، مزارع الكروم في ماديرا كانت تدار من قبل الآباء اليسوعيين، وفي أيلول/سبتمبر من كل عام، هناك مهرجانات صاخبة للاحتفال بجني العنب، وتلعب المأكولات البحرية، بالطبع، دوراً كبيراً في قائمة الطعام المعتادة، ولكن أيضاً اللحوم المشوية لها شعبية ويحتل العسل مكاناً بارزاً في الحلويات.

300.000 وعلى نفس خط العرض المار بالدار البيضاء، مكثنا في فندق تيفولي أوشين بارك في أحدث حي في المدينة، وهي منطقة عامرة بالفنادق والمطاعم والحلات التي لم تكن موجودة في زيارتي الأولى قبل عشرة أعوام، والطبيعة هي أهم جوانب الجذب السياحي لماديرا، لا تزيد الجزيرة عن 57 كم طولاً و22 كم عرضاً، وفيها سلسلة جبال تمتد وسط الجزيرة وكأنها عمود فقري لماديرا ويعطيها مظهراً تبدو فيه أطول وأعرض، القرى الصغيرة في التلال لها منظر وكأنه مأخوذ من القصص والحكايات الخالصة؛ فتبدو المنازل وكأنها هبطت من السماء في كل اتجاه، وبعضها يبدو وكأنه قد نما من الجبال.

وفقط في ماديرا تعيش الأبقار في بيوت زراعية صغيرة، تدعى بـ "الهيروس" وهي متناثرة على التضاريس الجبلية، والحيوانات مربوطة إلى بيوتها، ويقول البعض إن ذلك يكون لمنعها من السقوط من المنحدرات، بينما يدعي آخرون إن ذلك يمنعها من العبث بالمحاصيل.

الأرض الزراعية في جبال ماديرا ثمينة، فقطعة أرض بحجم غرفة النوم سرعان ما تتحول إلى مزرعة للكروم، وعندما يجنى العنب، فإن الأرض التي كانت مظلمة بالأعشاب تستعمل لإنتاج البطاطس، وساعد المناخ شبه الاستوائي والأرض البركانية الغنية في جعل ماديرا جنة لدارس النباتات، وفي حين أن هناك عدداً من الحدائق في منطقة فونشال، فإن مجرد التجول البسيط في الجبال يفتح لك مجال الاستمتاع بالعبر ووهج الألوان، فهناك طيور الجنة، الماغنوليا، وعشرات الأنواع من الأوركيد ستحييكم على طول الطريق.

كانت الألوان البهيجة للمنطقة إلهاما لفنانين مشهورين على مر السنين، وواحد منهم ونستون تشرشل، ومع أنه كان هاوياً، فقد كان كثير التردد على قرية الصيد كامارا دي لوبوس، للتمتع بمنظرها الجذاب، ومن المشاهير الآخرين الذين زاروا ماديرا بشكل "منتظم" برنارد شو وسارة بيرنهارت.

ركبنا سيارة قابلات من فونشال القديمة إلى قرية مونتي الجبلية وتمتعنا بالمنظر الرائع للمرفأ وأسطح المنازل ذات القرميد البرتقالي اللون، في القمة، وسط القرية، تبيع النساء منسوجات الدانتيل الجميلة، بعد وجبة غداء خفيفة توجهنا نحو واحد



Makeshift sledding in Icod

تزلج في إيكود

حتى وقت قريب، كان أهالي ماديرا يذهبون إلى البرتغال، وأهالي جزر الكناري يتوجهون نحو أسبانيا لقضاء إجازاتهم. ولكنهم الآن ينظرون إلى بعضهم البعض عبر فاصل الماء، أهالي ماديرا يحبون الحياة الليلية وشواطئ جيرانهم، وأهالي الكناري يحبون جمال وهدوء الطبيعة الوعرة على الجانب الآخر. بالإضافة إلى طائرات التشارتر الخفيفة، هناك النقل البحري ليلا بين الجزيرتين والذي سوف يكون متوفرا قريبا. وبعد قرون من صعوبة المواجهة بين الطرفين، فإن مشاعر المحبة مزدهرة بشكل كامل في وسط ماكارونيسيا.

للمزيد من المعلومات عن ماديرا، يرجى الاتصال بالبريد الإلكتروني:

info@madeiratourism.com

أو زيارة الموقع الإلكتروني:

www.madeiratourism.com

في 29 تشرين الثاني/نوفمبر من كل عام يجري مهرجان في إيكود للاحتفال بموسم الحصاد والعنب. أحد "أهم" معالم الاحتفال هو التزلج إلى أسفل الشارع على أي نوع من الألواح الخشبية المتاحة، وغالبا خشبة باب، وأحيانا تصل السرعة إلى 25 ميلا في الساعة. ويحدث عادة عدد من حوادث الاصطدام، ولذا فإن سيارات الإسعاف وفرق العناية الطبية تنتظر في الأسفل لمعالجة الجرحى. وما يثير الدهشة، أن المسؤولين في إيكود يدعون أنه لم تحصل حوادث وفاة. ■

(دومينيك ميرل كاتب ومستشار سباحي مقره مونترال)